المجلس العام الماروني وجمعياته

بقلم وديع الخازن

<u>لمحة تاريخية</u>

ارتبط اسم المجلس العام الماروني بذاكرة الهجرة المارونية الثانية من الجبال التي احتضنت وجودهم بعد المجازر التي تعرّض لها رهبان الطائفة إثر المجمع الخلقيدوني ليواجهوا من ثمّ في أواخر القرن التاسع عشر إضطهاداً آخر من البيزنطيين الذي تصدّى له أول بطاركتهك المنتخب في لبنان مار يوحنا مارون في معركة أقصت إحدى يديها خليفة المسلمين وبالأخرى امبراطور البيزنطيين. وعندما حاول يوستينيانوس الثاني سنة 1694 أن يخضع الموارنة، حين أرسل جيشاً هدم ديرهم القائم على العاصي. تمكن البطريرك يوحنا مارون من القضاء عليه في أميون. ومنذ ذلك الحين انفرد الموارنة في تشكيل ما يشبه قلعة العزلة والإستقلالية في الجبال.

ولئن لم تدم هذه العزلة طويلاً في الجبال، بسبب التضييق العثماني على الموارنة في معاقلهم الجبلية الوعرة. إلا أن الطبيعة لم ترحم مواسمهم وأرزاقهم، فاضطرّ معظمهم للنزوح عنها مجدداً سعياً وراء لقمة عيشهم في العاصمة بيروت.

في هذا المناخ المعيشي الصعب، كان لا بد أن تتحرك الدوافع الإنسانية من أبناء الطائفة "الوجهاء" لمساعدة الوافدين الجدد الى المدينة. فتنادوا لوضع خطة طارئة لمساعدة هؤلاء سنة 1876 في جمعية أطلقوا عليها اسم "الجمعية الخيرية المارونية"، ثم ما لبث الأمر ما تحول سنة 1897، بمبادرة من المطران يوسف الدبس رئيس أساقفة بيروت، الى إطار مؤسساتي عرف

بـ "جمعية أخوة الفقراء". وقد تحلق حول هذا المشروع كبار الطائفة المارونية آنذاك فكان من أبرزهم أنطوان الجلخ، نجيب حبيقة وأنطوان يوسف شحيبر.

وكان الهدف من هذه الجمعية – المؤسسة أن تؤمن سقفاً واحداً للعمل الخيري تحت راية العمل الإجتماعي الجماعي بعد طفرة ما عرف بالفروع الثمانية، وهي: جميعة مار جرجس ومار مارون ومار الياس ومار مخايل ومار يوسف وسيدة النجاة وسيدة العطايا ومار يوحنا المعمدان، ضمن إطار منضبط ووفق نظام جديد. أصبحت الجمعية معروفة على أثره بإسم "المجلس العام للجمعيات المارونية". وباتت تضم أربعة عشر جمعية: جمعية مار جرجس، مار مارون، مار الياس، مار مخايل، مار يوسف، سيدة النجاة مار يوحنا المعمدان،سيدة الوردية، القلبين الأقدسين، مار أنطونيوس البادواني، سيدة العطايا، مار شربل، مار بطرس وبولس ومار أنطوانيوس الكبير. وقد جرى التصديق على النظام المعدل من قبل المجلس وراعي أبرشية بيروت في 16 شباط 1959 ليصار بعدها الى إرساله لأخذ العلم والخبر من وزارة الداخلية.
هذه اللمحة التاريخية المقتضبة من عمر المجلس العام الماروني تعطي فكرة إضافية عن التحولات التي تحكمت بتطوّر مسيرته وأهدافه والتي كان من أبرزها:

رفع المستويات الخلقية والمعنوية والإجتماعية في الطائفة المارونية، والتي من شروطها تعميم التعليم إنطلاقاً من مجانيته، كي يتمكن أبناء الطائفة المحتاجين للمساعدة من إكمال دراستهم فضلاً عن توفير مساعدات عينية وأخرى مادية ومعنوية لأسرهم المعوزة.

من هذه البيئة الرازحة جور العصر العثماني، انبثق هذا المفهوم الثوري الداعم لصمود الموارنة في وجه الإضطهاد والفقر،وجاء المجلس العام الماروني الذي استقر على هذه التسمية سنة 1933 ليشكل على أحلام المطران يوسف الدبس الإصلاحية لبنة صلبة لإصلاح أوضاع الطائفة

بعد ترديها المفجع. ولقد رأى هذا الحبر الروحي بعينه الزمنية ان لا سبيل الى الخروج من هذه المأساة الإنسانية إلا برفع مستوى رعيته بالعلم والمعرفة لمحاربة الظلم والفقر والعوز.

ومنذ تلك اللحظة، تألقت في هذا المجلس وجوه خيّرة معطاءة من النخبة المارونية الناجحة في عالم المال والأعمال والإجتماع والسياسة لتغدق من جنى أعمالها المشاريع الإنسانية عن طريق الجمعيات التابعة لهذا المجلس. ففتحت مدارس مجانية ومستوصفات ومآوي عجزة.

وفي تلك الفترة، شهد المجلس العام الماروني تمايزاً في الرؤية السياسية بين بعض أعضائه. وسرعان ما حسم الأمر توافقاً على إنشاء الرابطة المارونية في آب 1952 لتخرج هذه الرابطة من رحم المجلس فيبقى رئيسه رئيساً للمجلس والرابطة على السواء، كما يبقى أعضاؤه حكماً في الرابطة، الى أن تم إنتخاب النائب الراحل المحامي شاكر أبو سليمان رئيساً للرابطة المارونية من خارج أعضاء المجلس العام الماروني الذي اكتفى بتوجيه عنايته الى النواحي الخيرية والإجتماعية من دون أن يتخلى عن دوره الوطني بالتكافل والتضامن مع الرابطة المارونية.

وخلال عهود أحبار الكنيسة المارونية، البطاركة: الياس الحويك وأنطوان عريضة وبولس المعوشي وأنطونيوس خريش والبطريرك الحالي الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير. والمطارنة إغناطيوس مبارك واغناطيوس زيادة وخليل أبي نادر وصولاً الى المطران بولس مطر، صاحب الرؤية الإنسانية والوطنية، تعاقب على منصب رئاسة المجلس شخصيات عديدة منها:

- الدكتور الياس جدعون 1926 – 1940
- معالي جورج بك تابت 1940 – 1943
- الأستاذ شارل تيان 1943 – 1957
- جان بك أبو جودة 1957 – 1968
- أنطوان بك كرم 1968 – 1970

- جان بك أبو جودة مجدداً 1970 – 1973
- الامير عبد العزيز شهاب 1973 – 1985
- الدكتور خطار شبلي 1985 – 1988
- المهندس ريمون روفايل 1988 – 2006
- الوزير السابق وديع الخازن 2006
- المهندس ميشال متى

والى جانب غبطة أبينا البطريرك وسيادة المطران بولس مطر ورعايتهما الدؤوبة لأعمال المجلس، وسهر مرشده الخوري اغناطيوس الأسمر، عرفت الأساليب التقليدية في العمل نقلة نوعية تمثلت باستخدام وسائل العصر وتقنياته الحديثة. ناهيك بآخر هذه الإنجازات التي شهدت تدشين مركز إجتماعي وصحي ضخم في منطقة المدور، بالتعاون مع وزارة الشؤون الإجتماعية وبإسهام كريم من مؤسسة الوليد بن طلال والوزيرة ليلى الصلح حمادة ، صديقة المجلس، وأصحاب الأيادي البيضاء.

من أهداف هذا المركز الطبّي، تقديم الرعاية الصحّيّة لجميع المعوزين وذوي الحاجة في اختصاصات عدّة، ويضمّ في أقسامه عيادات للطب الداخلي وطب الأطفال وطب الأسنان والعظام والعيون والقلب، إضافة إلى الطب النسائي والعام والمعدة والأمراض الجلدية والنفسية وطب الأنف والأذن والحنجرة. وهو يستقبل المرضى من دون أي تمييز أو تفرقة دينية، جنسية أو عرقية.

وثمة لحظ لإنجاز كنيسة داخل هذا المبنى في السنة 2012.

كما عمدت الإدارة الجديدة لهذا المجلس الى تجديد معالم الأضرحة المارونية القائمة في رأس النبع بالتشجير والإضاءة بما يليق بحرمة المكان وكرامة الراقدين من أبناء الطائفة.

ولم يوفر المجلس الحالي مناسبة إلا وأثلج بها صدور أبناء الطائفة المعوزين، لا سيما في عيدي الميلاد والفصح المجيدين وعيد شفيع الطائفة مار مارون، حيث يغتنم هذه المناسبات المقدسة لتوزيع المساعدات الغذائية بواسطة الجمعيات التابعة له. ويعتمد المجلس إقامة حفلات ترفيهية للأطفال غير الميسورين في مناسبة عيد الميلاد المجيد، تُقَدّم خلالها الهدايا وأطباق الحلوى لإشاعة أجواء البهجة والفرح التي تتلاقى مع العيد.

ولم ينس رئيس المجلس العام الماروني الشيخ وديع الخازن المسنين والعجزة، فقد خصّهم بمساعدات وموائد غذائية وجلسات ترفيهية يقدّمها لهم على مدار السنة وفق جدول يقوم المجلس بتنسيقه مع الجمعيات الرعوية التابعة له.

ومنذ السنة 2008، أخذ برنامج التدخلات الخاصة حيّزًا كبيرًا من نشاط المجلس العام الماروني، فمنذ ذلك الحين، يستقبل المجلس طالبي المساعدات المالية الفورية دون أي تمييز عرقي أو طائفي، لسد حاجاتهم الاجتماعية أو الطبيّة أو المدرسية. وبعد درس دقيق لوضع كل حالة والتأكد من صحّتها، يعمد المجلس إلى صرف المساعدة المطلوبة وذلك ضمن الإمكانيات المتوفرة. علمًا أن هذا البرنامج يتميّز بالكتمان الشديد حفاظًا على كرامة المستفيدين منه.

يستلهم المجلس، في خطواته الصاعدة، التوصيات الرسولية التي أطلقها الحبر الاعظم البابا الراحل يوحنا بولس الثاني في إرشاده الرسولي عندما حدد دور لبنان بـ "الرسالة".

وتبقى النظرة المارونية الطامحة الى غد أفضل والحفاظ على الوحدة الوطنية وكمبدأ العيش المشترك هاجس هذا المجلس لإحداث وثبة جديدة على كافة الصعد، خصوصاً بعد الإنتكاسات المتلاحقة التي عرفها أبناء هذه الطائفة نتيجة الصراعات الدامية والمؤسفة والتي دفع المجتمع الماروني جراءها أثماناً باهظة من حياته وأرزاقه وهجرة كثيفة الى أنحاء العالم.

كما يبقى هذا الحلم الحقيقي الذي تحقق منه جزء كبير هاجساً يومياً لهيئة المجلس الحالية التي لا تتدخر وسعها، في كل مناسبة للخدمة العامة، إلا وتبذل من أجلها جهوداً مضنية لتذليل الصعوبات وتيسير العيش على الموارنة بفضل المساعدات والهبات التي يتبرع بها المحسنون.

ففلسفة المجلس تقوم على أن ليس من أغنياء وفقراء، بل غنى واحد هو الرابط الذي يجمع أبناء الطائفة المارونية مع سائر الطوائف المارونية مع سائر الطوائف المارونية في بوطقة واحدة تكرس مساعدة الغني للمحتاج وإعانة الفقير على ضمان عيشه بكرامة وعزة في بلد يحترم حقوق الإنسان ويقدس مبدأه الوجود القائم على الحياة المشتركة والمصير الواحد.